دور التوترات الاجتماعية في تفشي الممارسات السحرية و الشعوذية في المجتمع التونسي دراسة سوسيولوجية ميدانية

الدكتور : سعيد الحسين عبدولي

جامعة تونس

الملخّص:

تكمن عديد العوامل التي تتصل بحاجيات المجتمع وبالرصيد الثقافي للفاعلين وراء انتشار ظاهرتي السحر والشعوذة في أيّ مجتمع. فبروز الممارســــــات السحرية والشعوذية في المجتمع التونسي له عديد المبررات التي يتوجّب علينا تحليلها ومناقشتها لكونها تمثّل أحد أبرز مقاصدنا الاشكالية وستبحث دراستنا في العلاقة بين التوترات الاجتماعية من ناحية و هذه الظاهرة من ناحية ثانية.

Résumé :

Les motifs relatifs de la propagation de la magie et la sorcellerie dans une société sont reliés à un besoin social et à un héritage culturel. Dès lors, l'apparition de ces pratiques (de la magie) dans la société tunisienne à plusieurs raisons qu'on doit analyser et discuter vu que cet axe représente notre principal centre d'intérêt. Notre étude concernera d'une part la relation entre les perturbations sociales et d'une autre part ce phénomène de magie et sorcellerie.

مقدّمة:

ما علاقة البخور وترديد التعويذات الغامضة المزوجة أحيانا بآيات قرآنية واستدعاء أسماء غريبة: أقش أقش كشليخ...أنوخ أنوخ...ونداء الأمر بالتنفيذ" توكّلوا يا خدّام ويا إبليس ابن مرّة" بما يصبو الفاعل الاجتماعي إلى تحقيقه مخترقا بذلك حدود الممكن والمعقول...؟ ما الذي يجمع بين حافر الحصان أو سبعة ابر وشعر الفتاة وثياب الزوج لتحقيق الفراق أو الوصال..؟ رجل طاعن في السّن أو دون ذلك من العمر... ثيابه رثّة متّسخة... أو عليه علامات وقار و تجلّة... فذلك لا يهمّ.

ربما لكونه أمر داخل في تقاليد المهنة...امرأة أو رجل مسكون من طرف جنّي مسلم أو نصـــراني أو يهوديّ يأبى الخروج من جسدها وإن فعل فهو سيخرج من عينها فيطمسها...التّابعة والنحس والعين والبخت وما إليها من مصائب لا تتّصل بمجالات الطّب ولئن كان تحليلا نفسيا..امرأة حبلى: تحمل ثم تلد في ظروف غامضة بعيدة عن زوجها ...طقوس عديدة وأنّات ألم متباينة، تلك وغيرها من المشاهد العلنيّة أو الخفيّة التي تطفو في المجتمع التونسي على اختلاف انتماءاته الطبقية والعقائدية والثقافية بل وحتىّ مدى درجة وعي أفراده.. هذا ليس لغزا أو تشويشا لفكر القارئ بل عنوان المشهد الفسيح المتباعد الأطراف: ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع التونسي.

على ضوء هذه المشاهد التي استقيناها من المعيش التونسي، حري بنا أن نبحث عن العوامل المساهمة في تفشي الممارسات السحرية والشعوذية ونحدد علاقاتها بتصورات الفاعلين وتطلعاتهم وهو ما سنحاول الاجابة عنه من خلال العلاقة بين الظاهرة موضوع الدراسة والتوترات الاجتماعية استنادا إلى دراسة ميدانية شملت 20 ساحرا ومـــشعوذا و 150 مستجوبا من سكان منطقة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد.

1. التأسيسات النظرية للدراسة:(البارادیقم)

1.1. تعريف السحر:

تبيّن لنا من خلال التعريفات التي اطلعنا عليها حول الظاهرة السحرية، أن السحر ظاهرة اجتماعية ميزت المجتمعات القديمة ولا تزال منتشرة في مختلف أصقـاع العالم،ولو بدرجات متفاوتة. و يكون السحر حسب مارسال موس، منتشرا في كافة أرجاء المجتمع، وليست تلك المصنفة في جانب منه فقط، ولكننا ندرك أيضا أن المجتمعات ليس لها نفس الفهم الواضح للـــــسحر، ويرى بأن تحديد مفهوم السحر لا يكون إلا بدراسة العلاقة بين الســـــــــحر و الدين[1].

يكون السحر إذا في ضوء هذا الفهم، كل الأنشطة التي يمارســـــها بعض الأفراد و التي تـــبدو في معظمها غامضة وملفتة للانتباه سواء من حيث مقاصده أو الوسائل المعتمدة في ممارسته. إنه بالتالي جوّ طقوسي خاص، تتآلف فيه جملة من العناصر المـــحسوسة و اللاّمحسوسة. وكأنــه عالم من الخوارق والعجائب. يتحول فيه المستحيل إلى ممكن والسهل إلى صعب، والعجيب إلى مألوف، والغيب إلى معلوم... إنه فنّ الممكن الذي بمقتضاه تفعل الرموز من كلمات ورسومات وحركات وأعراف فعلها في المكوّن المـــــــــــادي و النفسي على حد السواء. فمجرد تلاوة تعويذة أو حمل حجاب أو تنفيذ طقس من الطقوس وما إلى ذلك من ترتيبات قد يؤثر في مجرى الأحداث[2].

و يمكن بناء على ذلك، وضع تعريف اصـطلاحي للسحر على أنه: علم مكتسب تمارسه بعض النفوس الدنيئة إما بالخداع وتخييل الشيء على غير حقيقته. وإما بالإضرار بخلق الله تعالى وإذايتهم. وهذا الإضرار والخداع و التخييل، لا يتحقق إلا بالاستعانة بالشيطان والتقرب إليه، بارتكاب القبائح قولاً كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك، أو عملاً كعبادة الكواكب و التزام الجنابة وسائر الفسوق، أو اعتقادًا كاستحسان ما يوجب التقرب إلى الشيطان ومحبّته، فيتحقق بذلك تأثير السحر في المسحور.

2.1 تعريف الشعوذة:

إن الشعوذة ولئن كانت تشترك مع السّحر في بعض الجوانب، فإنها لا تحمل نفـــــــس دلالاته. فالشعوذة هي في اعتقادنا ضرب من ضروب التخيّل والخداع والإيهام و ادّعاء البركة[3]. **baraka** وتستند إلى عبقريّة المشعوذ في إيهام الفرد بأنه يأتي أفعالا سحريّة تشدّ النّاظر، لكنها في الحقيقة ليست كذلك. فهي بذلك القدرة على المراوغة دون الاستناد إلى نفس الوسائط التي يعتمدها الساحر.

هذا الموقف الذي نتبنّاه في تعريف الشعوذة هو ما أكّده الباحث محمد زهير الحريري من خلال اعتباره الشعوذة " حيل وخداع وتضليل ليست من السحر المقصود حقيقة لأنها تتم دون الاستعانة بالأشياء التي يقولها الساحر(...) ونحن نسلّم معهم بأن الشعوذة تخييل وغير حقيقة"[4].

وهو ذات الأمر الذي اكده الباحث المغربي محمد أسليم من خلال قوله:" أما عندما يكون المُخاطَبُ هو القارئ المغربي، فإن اللهجة تتغيَّر، فتحكمها نزعة نضالوية يُختَزَلُ السّحر فيها إلى مجرد شعوذةٍ ومظهر من مظاهر التخلف الاجتماعي والاقتصادي التي ينبغي التخلص منها في أسرع وقت ممكن[5].

إذا، فالشعوذة هي القدرة على التضليل وإيهام الناظرين وعادة ما يدّعي المشعوذ- شـــأنه في ذلك شأن الساحر- أنه صاحب بركات، وله خدّام من الجن وذلك من أجل بثّ الطمأنينة في المتلقّي وجعله يستأنس به و بقدراته. ولكن في الأصل هو يستخدم آليـات تضليل وخداع بحسب شطارته.

1.2. الاشكالية:

سنولي اهتمامنا بدراسة الفاعلين وتفاعلاتهم وتصوراتهم حول هذه الظاهرة. ومن ناحية أخرى ستنصبّ دراستنا على تحليل العوامل الكامنة وراء انتـشار ظاهرتي الـسحر و الشعوذة وعلاقتها التفاعلية بباقي المراجع الإيديولوجية الأخرى، التي طالما مثلت مرجعا يحتكم إليه المجتمع في حراكه وتغيراته. لنكون بذلك إزاء جمـلة من الأنساق و البنى و الوظائف التي تبدو غير متجانسة

ومتضاربة لكنها متأصلة في المجتمع من خلال وجودها العلائقي، مما يفرز جملة من المشاهد التي ستكون جزء من مقاصدنا البحثية وهي لئن تباينت وتعددت فإنها لا يمكن أن تكون إلا عنوان لإشكالية مركزية واحـــدة: إلى أيّ مدى تساهم التوترات الاجتماعية في انتشار الممارسات السحرية والشعوذية؟

وفي حدود بحثنا هذا الذي سيهتم بعلاقة التوترات الاجتماعية بانتشار الممارسات السحرية والشعوذية وتمهيدا لفرضيات البحث، يجدر بنا أن نصيغ في ضوء الإشكالية الرئيسية، الإشكالية الفرعية على النحو الآتي:

- ✓ ماهي تمثلات أهالي سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد لظاهرتي السحر و الشعوذة من خلال ما يعكسه معيشهم اليومي من سلوكيات ومواقف؟
- ✓ كيف يكن أن تساهم التوترات الاجتماعية في إنتشار ظاهرتي السحر و الشعوة في مجتمع كالمجتمع التونسي عامة وفي مجتمع سيدي علي بن عون الريفي خاصة ؟

1.3. الفرضيات:

لو توقفنا عند هذا الأمر وتبحّرنا فيه بحثا عن الفرضيات الملائمة لدراستنا التي تعنى بظاهرتي السحر و الشعوذة، لجاز لنا صياغتها على النحو التالي:

- ✓ السحر و الشعوذة، ظاهرة اجتماعية معتلّة لها تجلياتها في المعيش اليومي.
- ✓ تؤدّي التوتـرات الاجتماعية دورا في الإقبال المـتزايد على السحرة و المشعوذين من طرف الفاعلين.

1.4. منهجية الدراسة:

سنعمد إلى استخدام المنهجيـــن الكمـــي و الكيفي، نظرا لطبيعة الظاهرة المدروسة التي تستلزم قصد الإلمام بكل جوانبها احترام مبدأ التكامل بين المنهجين.

على هذا الأساس، فإن المنهج الكمي كفيل بأن يكون في مقدمة اختياراتنا المنهجية، فهو كفيل بجمع بيانات ومعطيات حول ظاهرتي السحر و الشعوذة في

منطقة سيدي علي بن عون واستنباط بعض الدلالات الكمية. ولأجل ذلك خصّصنا في هذا الجانب استمارة، وقد مكّننا ذلك من قراءة البيانات و المعطيات الواردة في نصها وبالتالي تجريبها للتأكد من مدى صدقيّتها، وصولا إلى مطابقتها للتصورات النظرية، وإيجاد تفسيرات لبعض تصورات المبحوثين بـــــإزاء ظاهرتي السحر و الشعوذة. و اعتمدنا في هذا الغرض برنامج SPSS الاحصائي الذي ساعدنا على تجميع البيانات وتبويبها و إدراك العلاقة بين عدة متغيرات ومقارنتها بالقراءات النظرية حول الظاهرة موضوع الدراسة[6].

و سنعمد إلى جانب المنهج الكمي، إلى استخدام المنهج الكيـفي الوصفي الذي سنستعين به لإدراك بعض المعلومات الخصوصية[7].المتصلة بالظاهرة موضوع الدراسة أو فيما تعلق ببعض الجوانب الأخرى، وخاصة الفاعلين والتغيرات و المعيش اليومي. فاعتمدنا بالأساس تقنية المقابلة والملاحظة بالمشاركة والملاحظة غير المباشرة.

1.5. الاطار النظري العام:(الباراديقم)

هذا ولّما كانت دراستنا تهدف إلى دراسة دور التوترات الاجتماعية في تفشي الممارسات السحرية و الشعوذية في المجتمع التونسـي، استلزم الأمر أن نراوح بين أكثر من إطار نظري يستجيب لأهداف الدراسة.ويتراءى مما تقدم، أن دراسة ظاهرتي السحر و الشعوذة لا يكون إلا في إطار النـــــسق العام للمجتمع بكل مكوناته المؤسساتية و الرمزية و تفاعل الفاعلين، مما يعني أن التحليل البنائي الوظيفي كفيل بمقاربة هذه الظاهرة مقاربة سوسيولوجية. و لسوف نرى كيف إن لهذه الممارسات جملة من الوظائف في البناء الاجتماعي التونسي وكذلك في مستوى السلوك أو التصورات والمعتقدات أو أنماط التفكير.

إلى جانب كل ذلك، وبحكم أن بحثنا هذا يهتم بالجانب السّلوكي و التّصوري لدى أفراد العيّنة، فإنه من باب أولى اختيار الباراديقم "التفهّمي" الفيبري، لأنه يهدف إلى دراسة الأفعال الاجتماعية بل وتحليل السلوكات الفردية.هذا وتعدّ

التفاعلية الرمزية، إطارا نظريا أمكن تبنيه، فيمكن القول إنها من الأهمية بمكان في بحثنا وتعد مكمّلة لسابقاتها لفهم الظاهرة المدروسة.

2. دور التوترات الاجتماعية: دوافع الواقع المعيش، في تفشي الممارسات السحرية و الشعوذية في المجتمع التونسي

يعدّ الواقع المعيش أو المعيش اليومي، مشهد رئيسي في بحثنا هذا، ينظر فـي مظاهر الســـــحر و الشعوذة الرائجة في مجتمعنا التونسي. وهي مشاهد نعاينها باستمرار في تصورات الفاعلين و سلوكياتهم. على هذا الأساس سنبتعد عن التحليلات النظرية ساعين قدر الإمكان إلى مقاربة الظاهرة في تجلياتها اليومية الحسية- المادية، بناء على نتائج التحليل الميداني وخاصة الجداول والبيانات التي توصلنا إليها فضلا عن المقابلات والملاحظات والمعاينات.

إن الفاعل التونسي في ظل سعيه إلى تحـقيق حراكه واندماجه الاجتماعي وفكّ مواطن حيرته، غالبا ما يحيد عن المألوف، بل قل يتشبّث بخزّان معرفي مازال حيّا فاعلا في الذاكرة الجماعية التونسية. فحياده عن المــألوف، معناه تخطّيه أو يأسه من دور المؤسسات الحديثة في المجتمع التونسي والتي لها وظائف محددة، وعليه فإن الفاعل التونسي ولأسباب متعددة يعمد إلى تحييدها أو تجاهلها معتمدا حلولا خارجة عن المألوف من القوانين والمؤسسات.

لذلك، فإن تأرجح الفاعل التونسي بين قطبي المألوف الظاهر والمألوف الباطن، إنما سببه وتيرة الحياة اليومية وما تفرزه من تحديات جمّة. لنقل الآن إنها دوامة التوترات الاجتماعية بشتى تجلياتها ومضامينها، وكم هي عديدة تلكم التوترات الإجتماعية، وهي على تباينها وتعدّدها تشـــترك في كونها آفة اجتماعية أو أزمة نفسية اجتماعية أو مجرّد قلق نفسي أو حالات من اللاّتوازن وعدم الاستقرار المؤسساتي أي والحال تلك تصدّع في مستوى البنى والأنساق الاجتماعية وكل ذلك بمكن ان يكون من المحفزات على تعلق الفاعلين بالممارسات السحرية والشعوذية كمخرج لهذه التوترات.

1.2 القلق والتوتر من الدوافع المؤدية إلى التعلّق بالممارسات السحرية و الشعوذية:

يعدّ القلق والتوتر النفسي من المشكلات التي يعانيها الإنسان في ظل تفاقم العوامل المؤدية لها، وهي عديدة متباينة خاصة في بيئة ريفية لا تزال تحافظ على إرث فولكلوري وتقليدي. والتوتر النفسي باعتباره حالة مرضية ترهق الفاعل الاجتماعي، بحسب درجات حدته، وتجـــعله حبيس أوهامه وتصوراته في سعيه الحثيث إلى إيجاد مسارب منقذة عساها تكون مخرجه وخلاصه.

وإزاء هذا الحال، فإن تصرفات الفاعل تفسّر حسب الوضعيات التي يعيـــشها: مؤهلاته المادية و الإيديولوجية ورصيده الثقافي وحتى انحداره الطبقي الذي يستمد منه جزءا من تصوراته ورؤاه للعالم، وبالتالي كل ما له علاقة بالوضعية الإجتماعية التي يوجد فيها أي أن: "المدلول الذي يعطيه فرد ما لمستوى مدرسي معطى يتراوح حسب الوضعية الاجتماعية لهذا الفرد[8].

نلاحظ من كل ذلك، أن للسحر كما للشعوذة وظيفة سوسيولوجية، إذ يساهمان في ربط الذات المهزومة ثقافيا وماديا وحتى أخلاقيا واجتماعيا بالعالم الميتافيزيقي، الذي يعتقد أنه يحتوي حلولا للمشاكل التي يعانيها الفاعل الاجتماعي في عالمه المادي المشحون بالتوترات. على هذا الأساس يتم الالتجاء إلى العرافين و السحرة و الدجالين وغيرهم من ذوي الاختصاصات المزعومة المشحونة بالأوهام والأباطيل رغم نجاعتها المحدودة اجتماعيا ونفسيا، لكونها تساهم في خلق الحراك و التموقع الاجتماعي ناهيك عن الاستقرار النفسي.

أمام هذا المشهد، يسعى الفاعل إلى التشبّث بالحلول التي تكون قريبة من خياله والتي يرى فيها حلولا خارقة لمشكلاته لأنها تتصل بالمقدّس الذي هو الخارق والمتفوّق والغالب والحافظ لأسراره من رقابة المجتمع[9] المقدّس باعتباره: القوة الإلهامية العليا، الروح القدس..المحرك الذي لا يتحرك..الصالح والمبروك.. الشيخ صاحب البركات.. الساحر..المشعوذ..الجنّي والشبح والطاقة العجيبة التي

يتمتع بها بعض الأفراد في التحايل والخداع والتي غالبا ما يراها المهزوم نفسيا واجتماعيا سرّ النجاة رغم ما تحتويه من آلام وأكاذيب.

جدول رقـــــم 1ـــــ : الإقبال على السحرة والمشعوذين عند الإحساس بالقلق والتوتر حسب الجنس والمستوى التعليمي

المستوى الدراسي / السحر لعلاج القلق و التوتر	التكرارات		المجموع
	نعم	لا	
أمّي	8	21	29
يقرأ ويكتب	2	6	8
تعليم ابتدائي	7	17	24
تعليم ثانوي	19	50	69
جامعي	5	15	20
المجموع	41	109	150
النسبة %	27.33	72.67	%100

هذا ومن أجل مقاربة مدى صحة ما سبق ذكره بما سبق التلميح إليه في سؤال الاستمارة نورد المعطيات التالية:

نلاحظ إذا أن قرابة ثلث العينة المستجوبة والمتكونة من 150 فردا، أي 27.43% تؤمن بدور الممارسات السحرية في حل مشكلاتهم النفسية، رغم كون هذه النسبة تختلف باختلاف عامل المستوى الدراسي والجنس، حيث نلاحظ من خلال الجدول الموالي أن هذه النسبة ترتفع في صـــفوف الأمّيين وهذا ما يؤكد أن للجهل دورا فاعلا في التشبّث بالخرافات والأساطير و من ثمـّة يتردّد الناس علـى محلاّت المشتغلين بالسحر والشعوذة وبائعي الوهم. وما اقبال ذي التعليم الثانوي بنسبة متقدمة إلا تأكيدا على تعلّق الفاعل التونسي بالممارسات السحرية

و الشعوذية في تحقيق الحراك الاجتماعي خاصة وأن هذه الفئة من العينة إما أن تكون تزاول تعلمها في المستوى الثانوي أي في سن تتراوح بين 16 و 20 سنة وبالتالي فإنهم يسعون إلى تحقيق النجاح في الدراسة وقد لاحظنا عبر تقنية الملاحظة المباشرة أن بعض السحرة والمشعوذين في المجتمع التونسي عامة ومجتمع البحث خاصة يقدمون بعض الأعمال للممتحنين زاعمين أنها ستساعدهم على النجاح مثل كتابة الأحجبة في حين أن الذين انقطعوا عن التعليم في هذه المرحلة من الدراسة يسعون إلى ايجاد عمل وهذا من شأنه أن يتسبب في حدوث قلق وخوف من المستقبل خاصة أمام انخرام العلاقة بين المدرسة والمستقبل أي أن هذه المؤسسة لم تعد ضمانة فعلية للنجاح والحصول على عمل[10].

وبالتالي فإن الفاعل التونسي يبحث عن قنوات جديدة لتحقيق الحراك الاجتماعي من ذلك تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية أو ما يصطلح عليه بالملفوظ الشفوي التونسي بـــ" الحرقان" ومن بين هذه الحلول أيضا الاقبال على الممارسات السحرية والشعوذية وهذا ما تأكدنا منه عبر بحوثنا الميدانية، فالمشعوذ"حرجوطة" المقيم في سيدي علي بن عون البلدة و الساحر "شوشان الهمامي[11].

الذي يقيم على بعد حوالي 25 كلم من ذات المنطقة وتحديدا في " أولاد شكر"، كلاهما يقدمان حلولا سحرية وأخرى شعوذية لا تزيد عن كونها خدع وأكاذيب لمساعدة العاطلين عن العمل من ايجاد وظيفية أو تحقيق بعض المقاصد الأخرى التي هي سبب توترهم مثل الزواج وفتح باب الرزق ومعالجة النحس والتابعة..وهي جميعها من العلاّت التي تتصل بمجال السحر والشعوذة.

ما سبق ذكره، أمكن دعمه من خلال نتائج الاستمارة حيث نقرأ ارتفاع النسق في الإقبال على الممارسات السحرية لعلاج التوتر النفسي، في الفئات العمرية 15-20 سنة، وهذا أمر منطقي بحكم أنها فترة مراهقة، يواجه فيـــها الفاعلون جملة من الضغوط، متولدة من احتكاكهم بكل مكونات الفضاء الإجتماعي وخاصة بالمؤسسات التي تمثل مصدرا للضوابط: أسرية، أخلاقية، دينية، تربوية، قانونية. وبالتـالي فإن هذه الشريحة العمرية تجازف بتوخي حلول

مخالفة من أجل تقليص هذا الضغط والكبت، فيكون الإقـــــبال على السحر والشعوذة أحد هذه القنوات المعتمدة. هذا وتساهم المشاكل الأسرية التي تحدث مثلا بين الزوج والزوجة، في خلق مناخ من التوتر والقلق النفسي، الأمر الذي يدفع في الإقـبال على الحلول السحرية من سحر وشعوذة، من نوع سحر المحبّة، سحر الإصلاح، سحر الطاعة، أو في الاتجاه المعاكس إذا كانت النية انتقامية وعدوانية مثل سحر الجنون، سحر التفرقة، سحر التعطيل.

ينبت بين ثنايا هذه الاختيارات الصعبة لمصير الفاعل الاجتماعي الذي بدأ أصلا يفقد فاعليته، الوعي السحري و يتجذّر بقدر تجذّر الأسباب المشجعة على مزيد انتشاره و ترسخها. ومرّة أخرى يعود الوعي الخرافي والأسطوري في البروز، ليكون ما سبق تبيانه – من أن سبب الاضطرابات والتوترات النفسية يعود بالأساس إلى عدة عوامل تؤثر في مدارك الإنسان وتهدم كيانه، وهو ذات الأمر الذي عبّر عنه ابن خلدون "الظلم مؤذن بخراب العمران" – كلام عارٍ من الصحة لدى بعض الفئات المتشبعة من هذا الوعي الذي قلنا أنه أسطوريٌ وخرافي في أغلبه، لأن الأصل في المسألة وفق معتقداتهم مجـرّد أذى أو عين أو سحر أو تابعة أو تخييل أو نحس...وعلاجاتها لا تكـون إلا بزيارة سيدي فـلان أو "حرجوطة[12].

أو القيام ببعض الطقوس السحرية وما إلى ذلك من مـــــــممارسات تزخر بها منطقة سيدي علي بن عون و المجتمع التونسي بأسره.ومما يجب ذكره – في هذا الخصوص- أيضا، أن الواقع المعيش غزير بالدوافع المحفّزة لتنامي الممارسات السحرية، حيث تجدر الإشارة في هذا السياق أن هموم الفرد وعلاّته: نفسية كانت أم مادية، اجتماعية أم اقتصادية، تكون دافعا سواء من قبل المشتغلين في هذا المـــجال أو المقبلين عليه، في استنباط وسائل جديدة للترويح عن أنفسهم وإيجاد مخارج لعلاّتهم أو لتحقيق الربح بالنسبة لمن يمتهن هذه الصنائع السحرية وهذا ما يؤكّد الموقف الدوركايمي كون أوّل أنواع التصوّر التي حملها الإنسان حول العالم وحول نفسه كانت ذات طابع ديني[13].

وهو ذات الأمر الذي أكدته بداك شابحة من خلال قولها:" إن التقاليد الاجتماعية والعادات بما فيها من كبت وقهر وتسلط طبقي من جهة وتسلط الرجل على المرأة من جهة أخرى وحالة الانغلاق والتزمت الاجتماعي تجعل من ظاهرة الممارسات السحرية أداة للتلاعب يقوم بها الفرد حين تدفعه الحاجة وحين يعجز عن تحقيق غاية معينة بالوسائل التي يرضى عنها المجتمع[14].

ولنا أن نلاحظ في هذا الصدد، كيف أن قراءة الحظ في صفحات الجرائد من بين هذه الـــطرائق المعتمدة، حيث أن فئة لا بأس بها من عينة البحث تؤمن بدور الآليات السحرية في حل مشاكلهم الاجتماعية وتوتراتهم النفسية. حيث تهتم فئة كبيرة من التونسيين بقراءة ركن "حظك اليوم" أو "حظك من السماء" أو ما يسمى بالأبراج التي تروج لها وسائل الإعلام المكتوبة أي الجرائد والمجلات التونسية، حيث يرجع ما نسبته 45٪ ممن يؤمنون بذلك أن مبرّر ذهاب البعض إلى السحرة والمشعوذين هو تفاقم التوترات بأنواعها: نفسية واجتماعية واقتصادية. وليس بغريب في هذا المنحى أن التمعّن في قراءة الحظّ يجعلنا نقف عند أكثر من ملاحظة:

- ارتفاع نسبة المهتمين بالحظ أو ما يسمى بالبرج الذي تعج به صفحات الجرائد، يقدم الحظّ معلومات عامة وفق تاريخ ميلاد الفرد، حيث أن على القارئ تحديد برجه وفـــق تاريخ ميلاده ولذلك فإن عدد الأبراج موزعة حسب عدد الأشهر، يكاد الحظ يأتي على كل المناشط التي تتصل بالإنسان، يقدم الحظ معلومات عامة حول الشخص وهي حتما يمكن أن تنطبق على أي إنسـان لكن القارئ يتفاعل معها بجدية لكونه يراها موجهة إلى شخصه بالذات، يقدم الحظ جملة من البشائر والنصائح التي غالبا ما تسعد القارئ أو تحذره من أمر ما.
- ولكن الإشكالية في هذه المسألة التي تقتضي التوقف عندها وفك مغاليقها هي: لماذا تكثر الممارسات السحرية أمام هذه التوترات والهزات؟ ألسنا في عصر العلم الحديث الذي يتناقض في مجمله مـعـــلوم الروحانيات

الصفراء وليس تلك التي هي وليدة العصر مثل علم النفس والباراسيكولوجيا...؟.

تبيّن لنا إثر تحليلنا للظاهرة السحرية في المجتمع التونسي، أن الانسان أمام إحساسه بالعجز والتوتر يكون في صراع دائم مع ما يحتويه هذا العالم من غموض وعلامات إبهام، قلق في معيشه اليومي وخوف من الآتي، وذهول مما يعاينه في محيطه من تواتر شتى أصناف الأنماط الحياتية منها ماهو متعارض متضارب مع عالمه الخارجي ومنها ماهو متناغم منسجم وهو أمر مرشح للتفاقم في ظل غياب مؤسسات الدولة وصمتها[15].

وبالتالي عدم اكتراثها بمشاغل الفاعلين وتطلعاتهم، وفي كل الحالات فإن الذات المهزومة والمثقلة بعبء هذه التوترات تسعى إلى ترميز همومها التي تصطدم بالواقع، لكن من ذا الذي يستطيع أن يستوعب هذه الشحنة من التوترات، خاصة في ظل وجود موانع تتفاوت بحسب الموروث العقائدي السائد في المجتمع من نوع الديني والعرفي، العـيب و العار والحرام والشرف و القبح والرذيلة و الفاحشة وما إليها من المعايير التي يفرزها المجتمع. ذاك ما عبر عنه واليس بدج بقوله:"هكذا يتحول العالم الخارجي في الذات إلى رموز، لأنه من الصعب أن يتحمّل الإنسان ضراوة هذا العالم مع إحساسه بالعجز.

و في عملية الترميز للمدركات الحسية والنظرية، يتواصل الانسان مع همومه ومعضلاته، ليكون التديّن مختلفا جذرا ومضمونا مع روح الاسلام باعتباره ذلك الدين الرسمي كما عهدناه مع السلف الصالح، وعليه فإننا كبحاث لا بد من الأخذ بعين الإعتبار في تحليلنا هذا الدين المرمّز أي الدين الشعبي، الذي يتقاسم مع الممارسات السحرية والشعوذية الشيء الكثير[16].

وفي حدود هذا التحليل، هل نرجع انسياق المهزومين نفسانيا بحكم عبء توتراتهم النفسية والاجتماعية إلى عامل الجهل كما ذهب إلى ذلك حسن الشقرماني المتخصّص في دراسة الظاهرة السحرية في المجتمع المغربي من خلال

قوله: " تجد معظم ضحايا الجهل يقرعون أبواب المشعوذين والدجالين، يطلبون منهم خيوط الأمل التي تعيد لهم توازنهم في الحياة، لأنهم فقدوه بسبب مشكلة ألمت بـــهم قد تكـون مالية أو صحية أو نفســية أو اجتماعية[17]، أم إلى عوامل أخرى يمكن أن تكون فهما مخصوصا للمقدّس أو لضرورة الخلاص من الحالة التي عليها الفاعل الاجتماعي التي تملي عليه التشبّث بكل ماهو متاح من حوله للخروج من حالته البائسة فيسود الاعتقاد في كرامات الأولياء والصالحين[18].

هكذا إذن، فإن الثقافة التي يتلقاها الأفراد في صلب الجماعة و بحكم التنشئة الاجـتماعية والتلقين والتأثير، تظل راسخة في سلوكيات الفرد وتصوراته، وهي سرعان ما تبرز زمن التوترات الاجتماعية والنفسية. وما يسهّل عملية بروزها هو الحالة المرضية التي يتعداها الفرد، فالتاجر الذي يشتغل وفق منظومة اقتصادية حديثة يصاب بالتوتر النفسي بمجرد كساد تجارته فيسعى إلى إيجاد مخارج سحرية عاجلة لإنقاذ الموقف. وتزخر كتب السحر والشعوذة في تونس بعديد التعويذات السحرية وبعض الطلاسم التي يرتّبها السحرة لذوي الحاجة في هذا المجال[19].

وعودا على ما سبق أن طـرحناه نؤكد أن الفاعل الاجتماعي و بانخـراطه في منظومة الواقع المعيش، قد يصاب بعديد المحن التي بتنا نراها في يومنا هذا بأشكال متنوعة بتنوع خصوصيات الواقع المعيش الآخذ في التقدم وفق شروط الحداثة، فلم يكتف الفاعل هنا بما أنتجته العبقرية الفكرية من علوم وتقنيات لتخطي معضلاته تلك، بل نجده يلجأ إلى المخزون الثقافي الروحاني والذي منه الســحر و الشعوذة.

على غرار ما يفرزه المعيش اليومي من توترات نفسية واجتمـاعية تكون دافعا للّجوء إلى الممارسات السحرية أو عاملا مولّدا لها ومساهما في تثبيتها، فإن هناك عوامل أخرى أمكن معاينتها في المعيش التونسي تعد بدورها من العوامل السوسيوثقافية في انتشار الظاهرة السحرية عقيدة وممارسة وسلوكا، وهو ما أمكن تبويبه في العنوان الفرعي الآتي:

2.2 الممارسات السحرية من خلال معضلة المرض و البحث عن العلاج:

إلى جانب الطب الرسمي الحديث هناك الطب الشعبي أو ما يسمى بالطب الرعواني، وهـــــــو تخصص يحمل من علامات الإبـهام والغرابة الشيء الكثير، إذا نـظرنا إلى الكـلمة في مـستواها السطحي –الظاهري، كما يبرز ذلك الملفوظ، فهو طب يعتمد على استخدام الحشائش و بعض طرائق العلاج التي كانت تستخدم في القديم وقد لعبت الخبرات والعادات المتداولة بين الأفراد والأجيال في ترسيخها وتلقينها. فمثلا يستعمل زيت الزيتون والليمون والكمون الأسود والخل لإزالة حرارة الجسم المرتفعة، والبسباس والماء لعلاج الإسهال لدى الأطفال، والزعتر والإكليل والدباغ لمرضى المعدة... هكذا كنا نفهم الطب الشعبي- الرعواني، فهو إلى حد هذا الفهم لا يزيد عن كونه الطب اللاكيمياوي أي يعتمد على مواد بيولوجية وخبرات جماعية متداولة عبر الأجيال.

لكن هل الطب الشعبي هو السحر و الشعوذة؟ هل من قواسم مشتركة بينهما؟ هل فعلا أن الساحر هو طبيب رعواني؟ ماهي مصادر الطب الشعبي إن لم يكن في بعض مظاهره ومضامينه سحرا؟ ماذا عن هذه الكتب التي تزخر بها مكاتبنا الصفراء إلى جانب باعة الخضر والغلال وفي أسواق الدواب وقرب أسوار الجامعات والمدارس وفي مداخل المستشفيات: شمس المعارف الكبرى، شفاء العليل وتسهيل العسير في أسرار مزامير داوود، الدر النفيس في تسخير جنود ابليس، اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان..؟؟؟

هذه إذا حيرة أولى أوردناها في شكل أسئلة تتصل بعالم السحر والطب في آن، نضيف إليها انتباهة ثانية من خلال هذا الجزء من الاستمارة مع الساحر "شوشان الهمامي" أو كما يصرّ هو على تسمية نفسه بالطبيب الرعواني، وقد تبيّن لنا من خلال المقابلة التي أجريناها معه أنه يصرّ على تسمية نفسه بالطبيب الرعواني رغم أن كل أنشطته هي من السحر المحض، وانه كان يستخدم أسلوب المماطلة قصد التخفّي وراء ستار الطب الرعواني، مما دفعنا إلى توجيه أسئلة لها

صلة بالسحر ووقتها يقرّ بشطارته في السحر ومن جملة ما صرّح به في هذا السياق نذكر:

" نعم، أنا أداوي الأمراض بأنواعها مثل السرطان والحجر في الكلى والمرارة... أنا أداوي بالأعشاب.. أداوي بسلطان عود والزعتر والدّغموس والحلاّب والـجــداري وهذه الحشائش أجمعها بنفسي من الجبل وإذا لم أجد بعضها فإني آتي بها من مناطق أخرى"[20].

هنا كان علينا أن نتنبّه إلى مأزق خطير وقع فيه من قبلنا عديد البحّاث، وهو مسألة التداخـل بين الطب الرعواني و أعمال السحر و الشعوذة. هذا التداخل هو ما دفعنا إلى ذكر المعلومات السالفة. فنحن لا نريد أن نقع في مأزق إسقاط المفاهيم أو استخدامها بكيفية فوضوية، فالسـحر هو الاستعانة بقوى غير مرئية للقيام بأشياء غريبة بالنسبة للإنسان العادي. في حين أن المشعوذ هو المخادع و المـتحيّل الذي يقدر بفـضل مهـاراته في الخـداع على أن يـقوم بأشياء تـنطلي علـى الفـرد فتـكون بالنسبة له أشــبه بالسحر و الخارق.

و لنا أن نلاحظ هذا التداخل في المفهوم حتى في كتب السحر، فهي تقدم وصفات سحرية لعلاج بعض الأمراض أو خلق أمراض إذا تعلق الأمر بالسحر الأسود أو السحر الضار. وهنا يكون الطب أحد أبرز مكونات السحر، ولهذا السبب يتملّص شوشان الهمامي من اعتبار نفسه ساحرا ويصر على أنه طبيب رعواني يداوي بالأعشاب لكن لا يمانع من كتابة" الأحجبة" أي التمائم إذا تعلق الأمر بمسائل أخرى يبلغ أقصاها إلحاق المضرة بالآخرين. وفي اعتقادنا يعود سبب ذلك إلى الطريقة التكتيكية التي يتوخاها السحرة والمشعوذون في إبراز بعض الجوانب الحسنة المألوفة في الوعي الجمعي وإخفاء القبيح منها، وعلى هذا الأساس فإن السحرة والمشعوذين في تونس نادرا ما يطلقون على أنفسهم إسم الساحر أو المشعوذ بل غالبا ما يعرفون بهذه التسميات: الروحاني، الكتّاب، الطبيب الرعواني، العزّام، المبروك، المدّب، الطالب[21].

لكن وحده الفاعل الاجتماعي الذي ألف أعمالهم بحكم قربه منهم من يدرك حقيقة أنشـــطتهم وتمييزها. ومما يجب تأكيده هنا ولفت الانتباه إليه، أنه رغم هذا التداخل بين مفهوم المرض والسحر والشعوذة، فإن القاسم المشترك بينها يكمن في اعتبارها من إفرازات الواقع المعيش، الذي أفرز عدة أمراض متفاوتة الخطورة ومتنوعة من حيث نوعيتها ومتباعدة في مستوى تكاليف علاجها، ينضاف إلى ذلك كله الرصيد الثقافي للأفراد الذي يحدد بدوره طريقة التعامل معها، على أن لا نغفل هنا دور البنى الفوقية كما التحتية في تنميط وعي الأفراد إزاء جملة من القضايا داخل المجتمع وخاصة منها العامل الديني والاقتصادي والسياسي.

"إن العوامل التي تتسبب في الأمراض وهي سواء كانت أعراضا مادية أو حالات نفسية فإنها تعود إلى طائفتين من الأسباب:

الأسباب المادية الملموسة والتي يفترض أنها معروفة وتشكل الطبيعة إحدى مصادرها الرئيسية.

الأسباب النفسية أو الروحية ويرتبط بعضها بأعمال الأرواح الخبيثة والقوى الشريـرة والبعض الآخر بغضب الله ونقمة أحد الأسلاف المقدسين[22].

وتبعا لذلك تختلف أساليب العلاج، فإذا كان المرض ذا طبيعة مادية يتم اللجوء إلى الوصفات الطبية التقليدية والتي هي مزيج من الخبرات المتراكمة. أما في حالة الوقوع ضحية لتأثير أعمال الشعوذة فإن الرقى والتعاويذ هي الشكل المناسب لضبط الأرواح وسبيل التحكم فيها في حين يكون التقرب بالأضاحي والنذور إلى الله وإلى أحد أوليائه الصالحين لمواجهة ما يفترض أنه ناتج عن استيائهما ونقمتهما. ولذا "يميز بعض الباحثين أمثال don yoder" بين نوعين للطب الشعبي هما: الطب الشعبي الطبيعي والطب الشعبي الديني السحري"[23].

حري بنا الآن أن نلاحظ أننا في المجتمع التونسي إزاء نوع من الطـب الناجم عن تداخل العوامل الثلاثة: سحر، شعوذة و طب رعواني، وهو الطب الشعبي الديني السحري كما جاء على لسان " don Yoder ". بالتالي ما هي أوجه

التقارب بين المرض والسحر في المجتمع التونسي من خلال ما توصلنا إليه في معطيات البحث الميداني؟

يعتبر المرض حالة اجتماعية مرضية تصيب الإنسان، ولكل مرض- وفق المقاييس العلمية الحديثة في مجال الطب- جملة من القوانين والقواعد التي تفسّر ملابساته وطرق علاجه. لكن رغم ذلك كله لا يمكن للمريض في بعض الحالات إلا أن يبق وفيا لبعض الممارسات السحرية والطقوس العجيبة سواء بفعل الدين أو العادات والتقاليد والتنشئة الاجتماعية وهي عوامل غالبا ما تفرضها الحالة المادية والنفسية للمريض. فمن يكون عاجزا بحكم الفقر مثلا على إجراء فحوص طبية مكلفة حول مرضه الخطير يجد أمله الأخير لدى المشتغلين في السحر والشعوذة، وذلك ما يفسر كون الإعلانات الاشهارية التي نقرؤها في الصحف التونسية تبرز تخصص هؤلاء الروحانيين أو الشيوخ في شفاء أمراض من هذا النوع التي عجز العلم الحديث على فكّها، مثل السرطان والسكري وداء البرص..، بل إن بعضهم يستعمل مصطلحات مأخوذة من الطب الحديث مثل"السكانار" والتخطيط والتحليل، وذلك استعانة ببعض الوسائل والوسائط السحرية.

وما يزيد في جدية الممارسات السحرية في معالجة الأمـــــراض وفق منظور الفاعلين، هو ما يتردد من أخبار حول نجاح بعض المشتغلين في هذا المجال، من ترويج نجاحاتهم بل قل مهاراتهم في المجتمع لتصبح حديثا شائعا يتناقله الأفراد فيما بينهم، الأمر الذي يزيد من نجوميتهم و بالـــــــتالي يتم توجيه النصائح إلى بعض المرضى بزيارة سيدي فلان ونتيجة الشفاء مضمونة كليا.

مما تقدم نلاحظ أنه بالسحر تواجه الأمراض و به أيضا تتم إصابة الأفراد بالمرض، فالمشعوذ الذي لا يفقه شيئا في طلاسم السحر يسعى جاهدا إلى التعويل على قدراته في التخيّل وابتكـــار معارفه في السحر الشعبي، وما يتوصل إليه من ابتكارات في الإضافة عليها حتى يخرج بوصفة سحرية هي عصارة كل تلك العوامل سالفة الذكر.

لا يزال سكان شمال إفريقيا أي بلاد المغرب العربي، ومنهم تونس، يخلطون بين الطب والسحر في كثير من الحالات وهو ما أكده إدموند دوتيه في كتابه الشهير" السحر والدين في شمال إفريقيا" من خلال قوله " ليس الطبيب في الأصل سوى ساحر مُضاد. فكلمة طبيب في العربية الكلاسيكية تعني السحر والطب على السواء. الطب ابن السحر (LA MÉDECINE FILLE DE LA MAGIE) بالإضافة إلى ذلك، و حتى في أيامنا هذه، لا يتم التمييز في إفريقيا الشمالية إطلاقا بين الطبيب والساحر كما لا يميز المرض عن الجن أو على الأقل بين الاثنين مراحل وسيطة غير محسوسة [24].

وللتدليل عل أوجه التقارب بين الممارسات السحرية (السحر والدجل والشعوذة) والطب في تمثلات أهالي منطقة سيدي علي بن عون، كان لا بد من متابعة ما يحدث في فضاء الزاوية سواء ليلة كل خميس حيث انتصاب "الحضرة" ومجيء "الدّكارة [25].

وتوافد الزوار على اختلاف مراتبهم الاجتماعيـــة و تفاوت نظرتهم للمقدس، فالحضرة- في الزوايا مثل زاوية سيدي علي بن عون ، سيدي عمر بوحجلة، سيدي عبد القادر، سيدي تليل...وغيرها من الزوايا الأخرى الموجودة في المجتمع التونسي- ليست كما يتراءى للبعض أنها إنشاد ديني صوفي تعبّدي، بقدر ماهي فضاء لممارسة السحر والدجل والشعــوذة و انتسار شتى أنواع الفجور والتحيّل والكذب والرذيلة والخمور و سائر الفواحش، إذا لا يغدو أن يكون المقدّس سوى الوجه الخارجي للمدنّس والخبيث. فهي فضاءات الوعي السحري بكافة دروبه وخاصة الشعوذة، وما يسهّل هذه العملية هو ارتباط الزاوية بمسألة العلاج. حيث ساد الاعتقاد منذ القديم أن زيارة ضريح الولي الصالح والتقرب إليه بالقرابين" الوعدة" يسهم في شفاء المريض والتـخلص من همومه ومشاكله.

بعد هذا العرض لماهية الزاوية و"الحضرة"، يبدو أن سؤالا محوريا لا بد من طرحه، يتصل بعلاقة الزاوية بالممارسات السحرية، من خلال ربط ذلك

بمشكلة المرض و التداوي. إذن السؤال المحوري الذي يمكن طرحه في هذا السياق هو: كيف تساهم بعض التقنيات العلاجية الرائجة في تونس في تفشي الممارسات السحرية؟ وللتبسيط، هل من علاقة بين المرض و الزاوية و كل من السحر والشعوذة؟ و بالتالي ما هي تجليات ذلك من خلال أمثلة ملموسة من المعيش التونسي؟ .

يحتاج الأمر إلى معالجة و تبصّر وعمق نظر، وهو ما سنشرحه من خلال مثال المرأة التي حضرنا عليها جالسة إلى جوار أحد القبور التي يعتقد أنها لولي صالح وفق المتخيل الشعبي لدى أهالي سيدي علي بن عون(هو سيدي عبيد الشارف) وكان بجوارها موقد البخور، إذ شاهدناها تسدي بعض النصائح وتقدم أجوبة عن بعض الأسئلة للزوار. كلامها مقدّس غزير المعاني، متباعد المقاصد، عليك بكذا.. اذهب إلى زيارة سيدي فلان.. حصن وبخور من بركة سيدي عبيد الشارف ولد سيدي علي بن عون.. تراب ودواء وماء.. توضيح طريقة التخليط وأوقات الفعل..والدفع على قدر حال الزائر.

أهذه شعوذة، سحر، أم بركة؟ إنها أبرز تجليات الشعوذة، حيث والحال تلك استطاعت هذه المرأة أن تختار المكان والزمان لتحقيق أهدافها للحصول على المال، وهو كثير لا محالة. آلام و أنّات الزوار متعددة وفي مقدمتها المرض. والحاجة إلى المقدّس ماسة وملحة، وكل ما فهمناه أن هذه المرأة تؤدي دور المرشد أو الدليل، فالنساء في المجتمع التونسي أكثر معرفة من الرجال ببعض أمور السحر من الصنف الشعبي. فالنساء هم الأكثر دراية في مجتمعنا العربي بأدق تفاصيل السحر الأسود، لا في مستوى الممارسة بل في مستوى الدسائس والمقاصد التي يمكن تحقيقها بواسطة السحر، فالمرأة في تونس لها خزّان من المعارف لا يستهان به من المعارف السحرية والشعوذية تستنجد بها وقت الحاجة أي وقت تعرّضها إلى بعض التحديات، مما يفرض عليها الدفاع عن مصالحها، كأن تعرف أمهر الكتّابة والسحرة، وعلى هذا الأساس كان مضمون سؤالنا رقـ22ـم في نص الاستمارة التي توجهنا بها للمستجوبين: ماهي الفئات الأكثر إقبالا على محلات الكتّابة أو

من شابههم؟، وكنّا قد وضعنا 9 مقترحات وطلبنا من المستجوب ترتيب ذلك حسب الأولوية، وبسبر آرائهم تبيّن أن نسبة 90 % وضعوا مقترح"النساء أكثر من الرجال" في المرتبة الأولى.

وليس قولنا أن المرأة أكثر إقبالا على السحر والشعوذة، مقارنة بالرجل كما دلت على ذلك نتائج البحث الميداني، معناه تحقير من مكانتها أو ربطها بـ"الشيطنة" كما تذهب إلى ذلك بعض الدراسات، وهو أمر تنبهت إليه من قبلنا الباحثة الجزائرية بدّاك شابحة التي برّرت تشبّث المرأة القبائلية بالسحر بواقعها المعيش خاصة في ظل تعدد الزوجات وهيمنة الرجل الكلية وكذلك مفهوم الشرف في المجتمع القبائلي الجزائري الذي يتميّز بارتباطه الشديد بالتقاليد والأعراف التي لا تزال تملي جملة من السلوكيات والقواعد. وكل ذلك من الأمور المفسّرة لتشبّث المرأة بالطقوس السحرية[26].

تراءى لنا، من خلال الملاحظات التي سجلناها عبر وتيرة المعيش اليومي في سيدي علي بن عون، أن المرأة لا تزال مسكونة بأهمية الوصفات السحرية في مواجهة الأمراض، إذ لا تزال بعض الطقوس السحرية حاضرة إلى اليوم، فالمرأة التونسية هي من تتولى إشعال الموقد وتبخير البيوت من أجل طرد النحس والعين الشريرة، وهي من تسكب الماء وراء عزيز عليها، وهي المرأة المتعلمة والتي تقود السيارة وتحتل مراكز مهنية مرموقة وتحمل تميمة في حاوية أوراقها "حصن الحصين" أو "تعويذة سحرية ملفوفة، أي" تميمة"، هي المدركة لبعض الممارسات السحرية العلاجية، وتحسن خلط الأعشاب والعطور.

دلّت نتائج الاستبان، أن حوالي 1/ 3 المستجوبين يعتقدون في دور السحر لغايات علاجية، وترتفع النسبة جزئيا في صفوف النساء، وذلك يعود إلى تأثير البيئة المحيطة التي أفرزت عملية التنشئة الاجتماعية، وبعض الطقوس الاحتفالية و السلوكيات اليومية التي تمتد جذورها إلى عصور قديمة. ولفهم هذه النقطة بالذات كان لا بد من التنبّه إلى بعض الرموز التي يتمسّك بها الفاعلون، هي رموز حسية حركية مادية ذات أصول سحرية لا تزال رائجة في الثقافة

التونسية ونعتبرها من الدوافع المساهمة في تفشي الاعتقاد بالروحانيات، والبحث عن حلول سحرية لعللهم. في هذا الإطار تبرز سلطة الكلمة، الكلمة باعتبارها قوّة غريبة يمكن أن تؤذي أو تقتل أو تتسبّب في أمراض متفاوتة، على أن لا ننسى أن الكلمة هي جوهر كل فعل سحري. وهناك من البحاث من يعتبر أن أخطر أنواع السحر تلك القائمة على قوة الكلمات، ولتوضيح ذلك أمكن الاستدلال بنشاط التقازات في جهة سيدي علي بن عون حيث لاحظنا قدرتهن العجيبة على الكلام، فهو كلّه سجع وموزون وفق وتيرة غنائية معينة، أي أن "التّقازة" تخاطب محاورها بل قل الشخص موضوع "التتقيز" بكيفية تثير حميّته، تذكّره بأدق تفاصيل ماضيه وحاضره ومستقبله.

استنادا إلى البحوث السوسيولوجية تأكد أن الفرد يبقى بحاجة دائمة إلى قوة الكلمة التي تعتبر ناقل الفعالية الرمزية المفضل." فهي أداة إعجازية قادرة على خلق تواصل بين حقول إن لم ينعدم لقاؤها فهو يظل غير محتمل تماما. ولا يستطيع المرء، ما لم يكن ساذجا، أن يشك في فعالية هذه العلاجات التي ترتكز على سلطة الرمز المنقولة بواسطة الكلمة، والتي نجد التحليل النفسي في مقدمتها[27].

من كل ما سبق بيانه وتحليله، وفي إطار مبحثنا الإشكالي، يتجلى بكل وضوح صحّة الفرضية التي حددناها منذ البدء: تؤدّي التوتـرات الاجتماعية والأزمــات الاقتصادية دورا في الإقبال المتزايد على السحرة و المشعوذين من طرف الفاعلين قصد إشباع حاجياتهم وملء الفراغ النفسي.ليست التوترات النفسية والاجتماعية و الأمراض وحدها من العوامل المساهمة في تفشي الظاهرة السحرية في المجتمع التونسي، بل هناك عوامل أخرى تتصل بتطلعات الفاعلين في الواقع المعيش وهو ما أمكن تبويبه في المشهد التالي:

3.2 السحر والشعوذة من خلال تطلعات الفاعلين إلـى تحقيق التغـير و الحراك الاجتماعيــين:

من المعروف أن هناك عدة وصفات سحرية تستعمل لأغراض مختلفة منها" توسيع الرزق، زيادة الفهم، تقوية الذاكرة، التوسل لدى أصحاب السلطة، العثور على مفقود في حرب، العثور على مفقود في غابة، العثور على ضال أو غائب، وقف صراخ طفل صغير، المحبة، هداية الابن العاق والمنحرف، التخلص من الحب، التعجيل بالزواج، وقف الغيرة، علاج العقم،إعاقة حمل امرأة، تيسير عسر الولادة، علاج الأرق وعلاج الاكتئاب والشعور بالخوف ومن يفزع بالليل ، أو إفاقة سكران، إنبات شعر أقرع وعلاج التسمّم، وغيرها.. وذلك ليصبح للجسم قوة ونشاط كبيرين –فيزيائي وروحي أو لجعل المحيط المادي و البشري مناسبا للمسحور حسب الناس[28].

نلاحظ من خلال هذه المجالات الواسعة التي يمكن أن يتدخّل فيها السحر، أنها من الأمور التي تتصل بواقع الإنسان المعيش وتطلعات الفاعلين. فجميع المناشط والحقول التي تتصل بالإنسان تتحول إلى ساحة فعل سحري، ذلك أن وتيرة الحياة المتسارعة تدفع الفاعلين إلى توخي شتى السبل المتاحة لتحقيق تطلعاتهم وتخطّي صعوباتهم. فالجدية و الإتقان والعزيمة والثبات و الثقة والاجتهاد والتقدم والإخلاص والانضباط كلها من المقاييس التي تعتمدها المجتمعات (المتقدمة أو تلك التي تسعى إلى تحقيق الرقي والتحول النوعي في كافة مسارات حياتها: أخلاقية كانت أم سياسية-اقتصادية، أو ثقافية-اجتماعية، أم علمية- تقنية) لتحقيق رقيّها ونهضتها.

على هذا النحو، يُرسم طريق الحداثة كما سبق أن رسمته الشعوب التي نعتبرها اليوم دولا متقدمة بامتياز والتي تأسست على مقولة ديكارت" أنا أفكّر إذن أنا موجـود" أو العقلانية على حد تعبير ماكس فيبر[29].لكن واقع الحال في البلاد العربية ومنها تونس لإ تزال الميكانيكية الخرافية والأسطورية مهيمنة.

في هذا الجانب لا بد من توضيح مسألة منهجية جد مهمة، وهي أن الظاهرة السحرية رغم بروزها للعيان في المجتمع التونسي- لكونها أضحت نشاطا رسميا يحتل مواقع مهمة في وسائل الإعلام التونسية، ووجود مكاتب وأماكن خاصة بها- فإنها تبقى ظاهرة خفية وعلنية في نفس الوقت، بما يجعل منها ظاهرة ميكروسوسيولوجية و ماكروسوسيولجية في آن واحد. فالمشتغلون في السحر يستقطبون زبائنهم عبر طرق تقليدية وأخرى حديثة مثل تسخير وسائل الإعلام، وفي هذا الإطار سئل محمد أسليم عن الطرق التي يجلب بها السحرة الزبائن في المغرب، فأجاب:" ولكن لا أحد منهم يقول إني ساحر. كلهم يقولون نزيل السحر أو نعالج المرض أو نقرأ الفأل، أو نزاول علم الفلك(...) وفئة خطت خطوة وصارت تسخر وسائل الإعلام العصرية، حيث ينشر أصحابها إعلانات إشهارية في نوع معين من الصحف"(30).

على عكس ما صرّح به محمد أسليم حول واقع الحال في المغرب، فإن الوسائط التقليدية تبدو أكثر جدوى في اعتقادنا بالنسبة إلى الساحر أو المشعوذ في مجتمع البحث، فالسحرة والمشعوذون الذائع صيتهم في منطقة سيدي علي بن عون والمناطق المحاذية لها، لم يكتسبوا البتة شهرتهم عبر الوسائط الإشهارية الحديثة بل عبر التقليديّ منها، وبالتالي كثرة الوافدين عليهم من فئة المستفيدين. ويعود ذلك في اعتقادنا إلى أن هذه الطرق لها قدرة فائقة على التأثير في الفاعلين مباشرة، خاصة وأن الأفراد يتناقلون عديد الأحداث من خلال تجاربهم الذاتية مع السحرة والمشعوذين أو من خلال منابر الحوار وتقصي الأخبار والسؤال مباشرة عن الحلول الممكنة لحل معضلاتهم. وبالتالي فإن درجة تشبّث الفاعلين وإيمانهم بالسحريات(أي كل ما ينتمي إلى السحر) ينضاف إلى ذلك جملة من التراكمات الثقافية مثل تفشي الزوايا، والتشبث بالغيبيات، وفتور الوعي الديني الذي يحرّم مثل هذه الممارسات... كل ذلك ساهم في انقلاب المعادلة، بمعنى أن الفاعلين هم من يخلقون شهرة الساحر أو المشعوذ على حد السواء.

من ناحية أخرى، فإن الممارسات السحرية مهما كان نوعـــــــها: سحر أم شعوذة، رسمية أم شعبية، ضارة أم نافعة، لا يبرز منها إلا الوجه الظاهر الذي يتقبله المجتمع وفق محدداته الأخلاقية والقيميّة، وهو ما نقرؤه في الإعلانات التي تزخر بها الصّحف التونسية وفي مقدمتها الصريح وكل الناس والإعلان... نفس الأمر كذلك لمن لم يسعفهم الحظ في الإشهار الرسمي، والذين اكتسبوا شهرتهم ورواج أنشطتهم عبر وسائل تقليدية أو أخرى تكتيكية، حيث تتناقل أخبارهم الألسن أو وجود وسطاء يروّجون لمهاراتهم التي يزعمونها[31]، فلا يمكن أن نجد ساحرا يصرّح على الملإ أنه قادر على وضع وصفات للقتل أو إلحاق الضّرر، أي كل ما يمكن أن يؤدي إلى خلخلة النسيج أو البناء الاجتماعيين، هذا هو إذن الوجه الميكروسوسيولوجي للممارسات السحرية، فالبعض لا يدرك هذه الخاصية، لكن في المقابل يندهشون لما يلاحظونه من جرائم وتوترات متفاوتة.

جدول رق2م: الأنشطة التي يتعاطاها السحرة والمشعوذون في سيدي علي بن عون [32]

الأنشطة	الإجابة			
	نعم		لا	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
علاج الأمراض	19	95	1	5
فكّ السحر	19	95	1	5
تخليص الناس من الجان	14	70	6	30
فتح باب الرزق	16	80	4	20
قراءة البرج	15	75	5	25
الإصلاح بين الزوجين	16	80	4	20

لكن ذلك لا ينفي أن مزاعم السحرة والمشعوذين كلها خرافات ووهم. نعم، من حيث المبدأ هي خرافات ووهم وانحطاط وتأخّر و قطيعة مع العبقرية الفكرية في أبعادها التجريدية والتجريبية التي هي أساس كل حراك وتغيّر ينشده المجتمع حتى لا يظل عليلا، إلا أنها عندما تختلط بمشاغل المجتمع وهموم الفاعلين

وتطلعاتهم ترتقي إلى درجة الفعل الظاهر البيّن الذي له دلالاته ومعانيه، مثل مسألة البركة التي تحدّث عنها ريموند جيمس من خلال قوله: " فالبركة لا تحدد فقط في مستوى التفكير الرمزي ولكن أيضا في مستوى الممارسة الاجتماعية[33] ، له آثاره وعواقبه: الموت، الجنون، التشرّد، قطع الأرحام، الإصابة بالأمراض، زرع الفتنة والتفرقة بين الأفراد مهما كانت المؤسسات التي ينتمون إليها، الإصابة بالتوتر و شتى ضروب الانكسارات التي يمكن أن تصيب الفرد وتفقده حياته الطبيعية.. الرقي في السلم الاجتماعي، تحقيق السعادة، الربح المادي السريع و العثور على الكنوز، النجاح في المشاريع التجارية، الشفاء من العلل، التطلّع إلى الغيب والمجهول... هكذا إذن تحوم الأعمال السحرية حول مدارين أساسيين، إما تحقيق النفع أو الضرر، ومن ثمة تم تصنيفها إلى سحر ضار وآخر نافع.

نحن إذن أمام ثنائية حضارية-سوسيولوجية من الظاهرة السحرية والشعوذية، الأولى نقوم بتفنيدها و الثانية نؤكد آثارها الوخيمة والخطيرة. ذاك ما أكده ويليام سيبروك الذي أقرّ بالآثار التي يمكن أن تنجم عن شتى أنواع الممارسات السحرية من خلال قوله:" وإذا أخذت أكثر التجليات شيوعا باعتبارها مثالا، اقتنعت أن بمقدورهم أن يقتلوا باستخدام السحر وحده، أي بالسحر الخالص، من دون اللجوء إلى السم، الحوادث المفتعلة، العنف أو أي وسائل مساعدة كيميائية-فيزيائية مهما كانت"[34].

أمّا كلود ليفي ستروس فقد أكد عن فاعلية الممارسة السحرية من خلال قوله:"ليس هناك سبب للشك في فاعلية بعض الممارسات الطقوسية"[35].لكن نحن من خلال بحوثنا الميدانية نذهب إلى أكثر من ذلك، حيث يستطيع المشعوذ أو الساحر- كل من خلال قدراته وبراعته في التعامل مع الجن والشياطين وتوظيف الطلاسم السحرية (حال السحرة) أو ما يستخدمه البعض من أدوات تضليل وخداع تبدو غاية في الدقة والدهشة، خاصة إذا كان الزبون يتمتع بقدر لا بأس به من الحماقة والسذاجة (حال المشعوذين)- من تحقيق الفاعلية و "النّجاعة" جرّاء أنشطتهم تلك.

فضلا عن هذا وذاك، فإننا لاحظنا أن كتب السحر الرائجة، يتلاءم محتواها مع تطلعات الفاعلين إلى تحقيق التغير و الحراك الاجتماعيين، إذ وردت مرتّبة في طلاسمها وتعاويذها وفق ما يستجيب لحاجة الفاعل الماسة في حياته اليومية. ولتوضيح ذلك أمكن أن نقدّم هذه القراءة العجلى لكتاب اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان: " وهو يشتمل على كثير من مهمات الفوائد الروحانية والعزائم والطلاسم وأبواب المحبة وحل المربوط وعلى خلخلة الهوى الكبرى الصحيحة المجربة وخلاف ذلك والله أعلم[36].

وهذه أبرز أبوابه وفوائده حلى حد قول كاتبه:

" باب قضاء الحوائج، باب عقد اللسان، باب في المحبة والتهييج، انتقام من عدو أو باغ، صرف العمّار من المكان الذي تريد فيه العمل، صفة ورد القرآن الشريف لقضاء الحوائج، فائدة من اضطر لأمر دنيوي أو أخروي، قسم عظيم وزجر عـلى سائر العمار، حرز يقرأ قبل كل عمل، فائدة لتفريج الكروب، الدعوة لجلب الرزق ودفع الشر[37].

وعلى هذا الأساس، وجدنا أن السحرة والمشعوذين في مجتمع البحث، لهم القدرة حسب زعمهم على التدخّل في كل المجالات، لصالح الفاعلين قصد تحقيق مآربهم، وهي متنوعة كل حسب حاجته، وهو ما أوردناه في الجدول السابق الذي يبيّن الأنشطة التي يتعاطونها وفق ما دلّت عليه نتائج الاستبيان الخاص بالمشتغلين في السحر.

الخاتمة:

إن دراستنا ليست حصرا جامعا مانعا لكل ما يتّصل بالظاهرة السحرية في المجتمع التونسي، فمفاصل هذه الظاهرة عديدة، أمكن تناولها من وجهات نظر مختلفة ومقارباتها سوسيولوجيا في إطارها العلائقي مع مفاهيم أخرى. ونحن إذ اقتصرنا في مقاربة الظاهرة على عامل التوترات الاجتماعية من أجل الإلمام أكثر بتصورات الفاعلين للظاهرة السحرية ودورها في ترويض توترات الإنسان وأزماته فإننا نشير ف خاتمة هذا البحث إلى توسّع مجالات السحر لتأخد أبعادا جديدة ومجالات واسعة، لتبرز الشعوذة كأحد هذه التخصصات التي تحاكي الممارسات السحرية في الاستجابة لمطالب المجتمع.

هذا وقد توصّلت الدراسة إلى توضيح فكرة جدّ مهمّة وهي محاكات الصنائع السحرية والشعوذية لرغبات الفاعلين وتطلعاتهم وعلى اعتبار أن السحر" يتأسس على الفكرة القائلة بأن الكائن البشري يمكن أن يؤثّر في مجرى الأحداث العادية بواسطة أدوات ما فوق طبيعية"[38].

فإن الفاعل التونسي التجأ إليها قصد تحقيق جملة من المطالب و إشباع حاجياته خاصة زمن الأزمات، الأمر الذي تحوّلت فيه الممارسات السحرية إلى رؤية للعالم يحوم حولها الفاعلون، إذ يتدخّل في مجالات عدّة منها ما هو ضار أي السحر الأسود أو ما هو نافع ونقصد بذلك السحر الأبيض، وفي كلا الحالتين فإن هذه الممارسات تستجيب ومطالب الأفراد كل حسب حاجياته.

من ناحية أخرى فإن انتشار الممارسات السحرية والشعوذية في المجتمع التونسي يطرح أكثر من تساؤل وأمكن تناوله من عدة زوايا نظر. إلا أن أهم ما يلفت الانتباه في هذا الإطار هو خطورة انتشار هذه الظاهرة على المجتمع والأفراد. فكم هي عديدة الجرائم التي يتسبب فيها هؤلاء المشتغلون.

لقد تبيّن لنا من خلال النتائج التي توصّلنا إليها في بحثنا الميداني أن تفشّي الممارسات السحرية بشتى أنواعها: سحر- شعوذة ومختلف مضامينها وتجلياتها

البرّانية المرتبطة بمعيش الفاعلين، تصلح أن تكون مؤشّرا نقيس به الوهن والضعف الذي آل إليه المجتمع، فتفاقم الممارسات السحرية في المجتمع العربي ومنه التونسي أمكن تشبيهها بواقع الحال الذي آلت إليه الأمّة في القرن الثامن الهجري، حيث اتّسمت هذه المرحلة التي عاشها ابن خلدون" بالانكفاء والتقهقر، إذ توالت على العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري كوارث عديدة: هجمات التتار شرقا، تقلص حكم المسلمين في الأندلس غربا، ضعف الأسرة الحاكمة وتنافسها بل تناحرها، الطاعون الجارف الذي خلّف الخراب والدمار، انتشار التفكير الخرافي، سيطرة الجمود الفكري. كل ذلك خلق أوضاعا مرتبكة تسودها الفوضى من كل ناحية، ويعمها الاضطراب من كل جانب[39].

❖ هوامش البحث

(1) Mauss (Marcel) & Henri (Hubert), « Esquisse d'une théorie générale de la magie », (1902), in Mauss (Marcel), *Sociologie et anthropologie*, Paris, PUF, 1950, pp.13-17.

(2) راجع في هذا الشأن: سيرجيميس فريزر، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، مصر، 1971، ص 74.

(3) Doutte (Edmond), Magie et religion dans l'Afrique du Nord : La société musulmane du Maghrib, Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-éditeur 9, Place de la Régence, 1909, Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto, p.603.

(4) محمد زهير الحريري، السحر بين الحقيقة و الخيال، دار الإيمان، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، 1985، ص 120-122.

(5) محمد أسليم، هوامش في السحر، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2001، ص 1.

(6)Boudon (Raymond), *Les méthodes en sociologie*, 10eme éditions, Paris, PUF, 1995, pp.86-96.

(7) Idem , pp.86-96.

(8)Boudon (Raymond), *L'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles*, Ed. Armand colin, paris 1978, p. 58.

(9) لمزيد التعمق في هذا الجانب أنظر:

Mjouti (Mohamed), *Hôpital psychiatrique et thérapies traditionnelles au Maroc*, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, Toulouse-le Mirail, 1983, p. 191

(10) راجع في هذا الشأن:

سعيد الحسين عبدولي، **المدرسة والمستقبل في تصورات تلامذة بيئة ريفية**: حالة منطقة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد مثالا تطبيقيا، شهادة الدراسات المعمقة في علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 9 جوان 2006.

(11) مقابلة مع الساحر" الطبيب الرعواني" شوشان الهمامي، القرية، أولاد شكر، في 28- 04- 2010.

(12) اسم الشهرة أو الكنية لمشعوذ مشهور في منطقة سيدي علي بن عون، والمعروف لدى جمهور المبحوثين بـ"خبثه" وارتكابه شتى أنواع "الفواحش"، موقعا عديد الجرائم التي يعجز العقل عن

تصورها وذلك استنادا إلى التصريحات التي تلقيناها عبر المقابلات وما استنتجناه بالملاحظة المباشرة، وهو لا يزال يواصل عمله بنفس الوتيرة حتى بعد 14 جانفي 2011 تاريخ سقوط النظام.

(13) Durkheim (Émile), Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Le livre de poche, 1991, p125.

(14) بداك شابحة، الوظيفة السوسويولجية للسحر عبر الأسطورة القبائلية- دراسة سوسويولجية، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1992-1993، ص 133.

(15) Ziouziou (Abdallah), «Réflexions sur la thérapie traditionnelle» in Lamalif, n° 143, Février-Mars, 1983, pp. 42-43.

(16) Doutte (Edmond), ibid, pp.311-317.

(17) حسن الشقراني، *المنقذ الثاني من السحر والسحرة*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص9.

(18) المرجع السابق، ص12.

(19) راجع في هذا الاطار:

Ziouziou (Abdallah) «Réflexions sur la thérapie traditionnelle» in Lamalif, n° 143, Février-Mars, 1983, pp. 42-43.

(20) مقابلة مع الساحر" الطبيب الرعواني" شوشان الهمامي، القرية، أولاد شكر، في 28- 04- 2010.

(21) اسم الطالب غير متداول في تونس، لكنه شائع الاستخدام في كل من الجزائر والمغرب، وقد ذكره إدموند دوتيه في دراسته للظاهرة السحرية في شمال إفريقيا، أما ما يقابله في تونس فهو اسم المدّب، ونلاحظ كون كلا التسميتين: المدّب والطالب، لهما في الأصل مدلولات دينية إسلامية أي الشيخ أو من له بركة بحكم تفقّهه في الدين. لكن يطلقان أيضا على المشتغلين في السحر والشعوذة.

لمزيد التفصيل راجع:

Doutte (Edmond), ibid, pp. 293-378.

(22) عبد الرحيم تمام أبو كريشة، الطب الشعبي في الريف العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1994، ص9. نقلا عن عماد بن صولة، وظائف الزاوية في المجتمع التونسي: سيدي

البشير نموذجا، شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 1998-1999، ص 260.

(23) عبد الرحيم تمام أبو كريشة، الطب الشعبي في الريف العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1994، ص9. نقلا عن عماد بن صولة، وظائف الزاوية في المجتمع التونسي: سيدي البشير نموذجا، شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 1998-1999، ص 260.

(24) Doutte (Edmond), ibid, p. 37.

(25) هو مصطلح شائع للتدليل على انشاد النشيد الديني الذي يعرف بالذّكر. والذّكار هو بالتالي المنشد ومن بين أبرز الأذكار التي ينشدها الذكارة هي : "يا عيّا جيناك زوّرا ها عيا".

(26) بداك شابحة، الوظيفة السوسيولجية للسحر عبر الأسطورة القبائلية-دراسة سوسيولجية، أطروحة ما جستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1992-1993، ص78.

أنظر أيضا:

Doutte (Edmond), ibid, p 33-34.

(27) Foerster (H.V.), "On Self-Organizing Systems and their Environments", in Yovits (M.C.), Cameron (S.), *Self-Organizing Systems*, Oxford, London, New York, Pergamon Press, 1960, p.43-45

(28)بداك شبحة، *الوظيفة السوسيولوجية للسحر عبر الأسطورة الأمازيغية – دراسة نفسية – سوسيو – أنثروبولوجية*، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، العدد 8، جوان 2003، ص117.

(29) Weber (Max), *L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme (1904-1905)*, Plon, 1964, Paris.

(30) حوار مع محمد أسليـم: "في ماهية السحـر ووجوده أو عدمه" www.aslimnet.free.fr

(31) يعتبر المشعوذ م,ح المعروف في جهة سيدي علي بن عون بحرجوطة من أبرز المتحايلين ويستخدم أساليب غاية في التعقيد و الاحكام من أجل الإيقاع بأكثر عدد من الضحايا، إذ له وسطاء في كافة الولايات التونسية يعملون على شهرته وينسقون معه في رسم الحيل والخطط.

(32) يستطيع المبحوث اختيار أكثر من نشاط

(33) Jamous (Raymond), *Honneur et Baraka: Les structures sociales traditionnelles dans le Rif*, éd Cambridge university press et Maison Des sciences de l'homme, Paris 1981, p.204.

(34) ويليام سيبروك، السحر قوته في العالم اليوم، ترجمة سليم عبد الأمير حمدان، المدى للثقافة والنشر، سورية، 2009، ص5.

(35) Lévi-Strauss (Claude), *Anthropologie structurale*, Paris, Plon, 1958, p.184.

(36) أحمد البوني، اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان، المكتبة الثقافية، لبنان، 1999، ص2.

(37) المصدر السابق، ص 25.

(38) Azria (R.) & Hervieu-Léger (D.), « MAGIE / SORCELLERIE », in *Dictionnaire des faits religieux*, Paris, PUF, 2010, p.679-685.

(39) محمد عابد الجابري، **العصبية والدولة**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، من دون تاريخ، ص 20.